



30 أبريل 2007

بقلم: د. حامد أنور

لم يكن ساهر حمد الله التَّمّام يعلم- وهو يقود سيارته المفخّخة التي أعدّها له البطل المجاهد يحيى عباس في السادس عشر من أبريل عام 1993م للقيام بأول عملية استشهادية في فلسطين- أنه يكتب أول سطر في صفحة النهاية لبني إسرائيل، ويضع أول لبنة في حجر الأساس لاستئصال الكيان اليهودي من المنطقة ونهاية الشرّ من العالم، لا يستطيع أحد أن يصف إحساسه وقتها وهو يمسك بعجلة القيادة، وهو يوعد الموت للقائه بعد دقائق من أجل الثأر لإخوانه، الذين كانوا حينئذٍ مبعدين في (مرج الزهور)، ومن أجل الدفاع عن أرض الخلافة القادمة.

لكن أستطيع أن أقول إن ساعة التاريخ وقتها قد توقّفت لتشير إلى متغيرٍ جديد؛ لذلك أتفهّم جيّدًا ما قاله بعدها يعقوب بيري- رئيس جهاز الشاباك الصهيوني في كتابه (القادم لقتلك)-: إن العمليات الاستشهادية هي أول تهديد وجودي يواجهه الكيان اليهودي في تاريخه منذ اغتصابه أرض بيت المقدس.

إن العمليات الاستشهادية ذرّة الجهاد الإسلامي في العصر الحديث، والتي كانت السلاح الأقوى لضرب هيمنة الكفر الحديث، ولم تستطع الحملة الصليبية اليهودية أن تجد سلاحًا مناوئًا له.. تلك الحملة التي ترفض وجود أحد إلا تحت رابتها، ولا تُعطي الحرية إلا لمن يناصرون جرائمها، فإذا بها تنهار أمام أسود الاستشهاديين التي انطلقت تزار في أرض بيت المقدس، تبحث عن اصطياد عناصر الشر؛ لتكتب على بني إسرائيل ما قضاه الله عليهم في التوراة والإنجيل والقرآن، من نهاية بدأت تنضح ملامحها، وهم عرفوها كما يعرفون أبناءهم الذين يتساقطون مع شطايا التفجيرات الاستشهادية، فتتساقط معها خرافاتهم وضلالاتهم.

فلقد جاء في سفر آرمياء في الإصحاح السادس عشر.. الذي يحمل نفس تاريخ اليوم الذي انطلق فيه البطل ساهر حمد الله تَمّام وسطر أول عملية استشهادية في تاريخ فلسطين ما يشير أولاً إلى عودة بني إسرائيل من أرض أوروبا أرض الشمال، ومن كل الأراضي التي تفرّقوا إليها إلى أرض بيت المقدس؛ حيث يقول: "لذلك ها هي أيام تأتي يقول الرب ولا يُقال بعد حي هو الرب الذي أصدع بني إسرائيل من أرض مصر، بل حي هو الرب الذي أصدع بني إسرائيل من أرض الشمال، ومن جميع الأراضي التي طردهم إليها فأرجعهم إلى الأرض التي أعطيت آباءهم إياها" (آرمياء: 14-16).

ثم يشير الإصحاح إلى أولئك الأبطال الذين سَطّروا التاريخ، فيعبر عن أولئك الاستشهاديين بلفظ جرافين، وهي صيغة مبالغة، أي معرضًا نفسه لأشدّ الخطورة، وإن أولئك الجرافين أو الغدائين سيصطادونهم ثم تكون المرحلة الثانية هي مجيء الغناصين والمقاتلين الذين سيصطادونهم من على الجبال والتلال ومن وراء الأحجار، إي وربي لقد تحدثت التوراة عن حرب الحجر والشجر، مصداقًا لما أخبرنا به سيد الأنام في حديث أبي هريرة رغم أنف الجاهلين؛ لذلك يطعنون فيه، فيقول: "هأنذا أرسل إلى جرافين كثيرين فيصطادونهم، ثم بعد ذلك أرسل إلى كثيرين من الغناصين فيقتنصونهم من على كل جبل ومن كل أكمة ومن وراء الأحجار" (آرمياء: 16-16).

لقد أشارت سورة الإسراء إلى الإفساد الثاني لهم بأنه سيكون مسبقاً بتجمعهم مرة أخرى ﴿قَادًا جَاءَ وَعَدُّ الْأَجْرَةَ حِنَّا يَكُمُ لَفِيْقًا﴾ (الإسراء:)، فهم بعد أن تجمّوا يقومون في العالم الآن بأكبر عملية إفساد في التاريخ بالدعوة إلى قيم غير قيم الإله ونشر الانحراف والفجور ومساندة الملحدين والوثنيين ضد ربهم الذي أخرجهم وأنقذهم من يبر فرعون مصر، فبا له من إفساد!! فبنس القوم هم!! وبنس الصنيع صنيعهم!! وشر البضاعة بضاعتهم!! لذلك وصّح لهم ربهم في الإصحاح بعد أن عرفهم نهايتهم: "لأن عيني على كل طرفهم لم تستتر عن وجهي ولم يختفِ إثمهم من أمام عيني" (أرمياء: 16-17).

فأبشر يا عياش أنت والمجاهد ساهر- نحسبهما على خير ولا نركي على الله أحدًا:- لقد كتبنا التاريخ الحقيقي في العصر الحديث، ليس تاريخ الدجل والتزوير، ليس تاريخ المستسلمين والمنهزمين، بل تاريخ البطولة المغموسة بروح التضحية، ورسمتها الطريق لأجيال قادمة تتسابق فيه على ربح الجنة ويزرع الفجر القادم للجميع.

* d.hamedanwar@yahoo.com

www.ikhwanonline.com/28025